عصابة للإيجار

محمود سالم

عصابة للإيجار

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عصابة للإيجار

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٦٠٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
حدث في ليلة الفرح!	١١
حيًّا ... وميتًا!	١٥
عندما أصبح المجرم ... صديقي!	١٩
الاثنان ... في سيارة نقل!	٢٥
جهاز الإرسال في الصالون!	٣١
كل شيءٍ ... في المخبأ السري!	٣٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

حدث في ليلة الفرح!

كان «أحمد» متمدِّدًا في فراشه بالمقر الرئيسي للشياطين الـ «١٣»، وهو ينظر إلى السقف في تأملٍ واستغراقٍ، عندما سمع صوتًا خافتًا كأنه نفخةٌ بسيطةٌ بجوار أُذنِه، وعرف أن اللمبة الحمراء قد أُضيئت، وأن ثمة رسالة في الطريق إليه ... وضغط فورًا على جهاز «الريموت كونترول»، أو التحكُّم من بعيد بجوار فراشه، فظهرت على شاشة التليفزيون رسالة بالألوان تقول: رقم «صفر» يدعوكم للاجتماع، قاعة عرض الأفلام، الساعة ١٠ صباحًا.

نظر «أحمد» إلى ساعته، كانت الساعة عشر دقائق بعد التاسعة، فرفع سماعة التليفون الداخلي «ب. ب. إكس» وطلب «عثمان» الذي ردَّ على الفور قائلًا: هل ما زلت في فراشك أيها الكسلان؟!

أحمد: ليس بدافع الكسل ... ولكن هناك بعض خواطر تطوف برأسي!

عثمان: مثل ماذا؟!

أحمد: أفكِّر في إجازة أقضيها في «القاهرة» ... لقد مرَّت فترةٌ طويلة دون أن أحصل على أية إجازةٍ!

عثمان: عدد من الشياطين تحدَّث بنفس الأسلوب ... ماذا حدث؟

أحمد: لا شيء أكثر من الإحساس بالملل ... إنَّ المغامرات تتشابه، وكل يوم مثل كل يوم آخر!

عثمان: غير معقول ... إنَّ الناس كلها تحلم أن تعيش حياتنا ... فنحن نُسافر كل يوم إلى مكان ... ونُخاطر كل يومٍ مخاطَرة جديدة ... ونعيش حياةً مثيرةً.

أحمد: حتى المغامرات إذا استمرت طويلًا تُصبح متشابهةً ومملةً!

عثمان: هذه فلسفةٌ ضارةٌ بالنسبة لمغامر!

أحمد: تعالَ نلتقِ في قاعة الأسلحة الصغيرة ... إنني في حاجة إلى تمرينٍ عنيفٍ يُزيل الصدأ الذي علق بعضلاتي وأعصابي.

بعد خمس دقائق كان الزميلان والصديقان «أحمد» و«عثمان» يقفان أمام التماثيل الصغيرة المتحرِّكة، والتي تُمثل أفضل الأهداف في التمرين على الإطلاق بالمسدَّسات ... وكان «أحمد» يمسك مسدسًا من طراز «سيث وايسن» ويَضرِب بسرعةٍ وعنفٍ جعلت التماثيل تتأرجَح كأنها تواجه عاصفة ... وجعلت المُدرِّب ينظر إليه في دهشةٍ ... وهو يقول: ماذا جرى لك؟!

أحمد: لا أدري ... إنني عصبيٌّ قليلًا.

الرجل: ليس قليلًا ... إنك عصبيٌّ جدًّا.

أحمد: آسف ... لا أدري ماذا حدث؟! ... ولكن كل شيءٍ أصبح متشابهًا حتى مللت كل شيءٍ.

لم يُعلِّق الرجل بكلمة، ومضى يُصحِّح لـ «أحمد» و«عثمان» أخطاء الضرب ... حتى إذا انقضت نصف ساعة، ولم يَعُد على موعد رقم «صفر» إلا عشر دقائق، أسرع الاثنان إلى الحمام. وبعد حمامٍ باردٍ، وتغيير الثياب، أحسَّ «أحمد» أنه أحسن حالًا.

اجتمع الشياطين الـ «١٣» في غرفة الخرائط ... وأُضيئت اللوحة ... كان عليها خريطة أمريكا، وأوروبا، والشرق الأوسط، وجزء من الشرق الأقصى ... وسمعوا صوت رقم «صفر» العميق يقول: أحدكم اليوم كان في حالةٍ عصبيةٍ!

أحسَّ «أحمد» أنَّ الحديث موجَّه إليه، فأغمض عينَيه للحظات ... ومضى رقم «صفر» يقول: منذ فترةٍ وأنتم تخُوضون نفس النوع من المغامرات ... هذه المرَّة هناك شيءٌ جديدٌ ... وانتبه الشياطين.

رقم «صفر»: هذه الخريطة تُبيِّن العالم كله تقريبًا، وهذه أول مرةٍ نجد عصابة يُغطِّي نشاطها أكثر أجزاء الكرة الأرضية. إنه تَحدٍّ جديد لمن يقولون: إن الأشياء أصبحت متشابهة.

أُضيئت الخريطة عندما أشار إليها رقم «صفر»، ثم أشار مرةً أخرى إلى نقطة فأضاءت بالأحمر في مدينة «بومباي» في الهند، ثم اتَّجهت العصا في خطٍّ أحمر من الهند إلى مدينة جنيف في سويسرا ... إلى مدينة لندن ... إلى مدينة نيويورك ... ثم بنفس الخيط الأحمر من الضوء حتى وصلت إلى القاهرة.

وقال رقم «صفر»: كالعادة ... هناك مئات بل آلاف الحوادث التي تقع كل يوم في هذا العالم، ولا يُمكن للشياطين الـ «١٣» بالطبع أن يتدخَّلوا في كل هذه الحوادث إما لأنها ليسَت مهمَّة ... وإما لأنها لا تمسُّ العالم العربي ... ومنذ فترةٍ وهناك عمليات اختطافٍ غريبة تحدث في جهاتٍ مُختلفة من العالم، وكنَّا نرقبها لمجرَّد الرصد، وجمع المعلومات ... ثم حدث منذ ٢٤ ساعة ...

وصمت رقم «صفر» وقد ثبتت عصاه على القاهرة، ثم مضى يقول: حدث منذ ٢٤ ساعة أن تمَّ قتل واختطاف رجلٍ هام جدًّا ولا قيمة له على الإطلاق ... سرَتْ همهمة خفيفة في صالة الاجتماعات؛ فقد بدا حديث رقم «صفر» في غاية الغرابة والتناقُض ... فمن غير المعقول أن يتمَّ قتلُ واختطاف رجل واحد ... فإذا كان قد قُتِل فلماذا يُختطف؟! وهل من الممكن أن يكون نفس الرجل هامًّا جدًّا ولا قيمة له على الإطلاق؟!

وكان رقم «صفر» قد توقَّف عن الحديث عندما ارتفعت هذه الهمهمة ثم قطعها قائلًا: طبعًا ألاحظ أن هناك تناقضات في هذه الأقوال، وسأشرح كل شيءٍ ... ولكن المهم الآن أن نتحدث عن الوقائع التي جرت منذ ٢٤ ساعة ... فنحن نُريد أن نُتابع الأحداث أولًا حتى نلحق بها ... أو حتى لا تسبقنا طويلًا!

عاد المؤشِّر يدور حول القاهرة وقال رقم «صفر»: أمس في أحد فنادق الدرجة السياحية بالقاهرة تمَّ قتلُ ثم اختطاف رجل سنُطلِق عليه مؤقَّتًا اسم «م» ... وقد تمَّ القتل والاختطاف أمام عشرات من الأشخاص وتحت الأضواء ... وفي الساعة الثالثة بعد مُنتصَف الليل.

قال أحد الشياطين: إنه قاتلٌ خطير جدًّا!

رقم «صفر»: نعم ... إنه قاتل خطير جدًّا ... وجريء جدًّا ... ولكنه ليس فردًا واحدًا ... إنه عصابة مُنظَّمةٌ وقويةٌ.

وارتفع صوت أحد الشياطين: ربما «سادة العالم»!

رقم «صفر»: أُرجِّح أنها ليست عصابة «سادة العالم» التي اصطدمنا بها كثيرًا ... إن الأسلوب مختلفٌ ... فهذه العصابة تقوم بخطفِ وقتلِ شخصياتٍ مختلفة لا رابط بينها مطلقًا، وقد اصطدمنا قبلًا بعصابات تَخطف العلماء، أو المُخترعين، أو الأثرياء ... ولكن هذه العصابة تخطف، أو تقتل أشخاصًا لا أهمية لهم على الإطلاق.

وقبل أن يتلقَّى أيَّ تعليق على هذه الجملة استمر يقول: وسنَستعرِض الآن تفاصيل الحادث ...

اختفت كل الأضواء، وساد الظلام، ثم نزلت شاشة سينما، وبدأ عرض فيلم في غاية الغرابة ... كان الفيلم عن زواجٍ قد أُقيم في ذلك الفندق ... وعلى حمَّام السباحة كانت الموائد تمتدُّ في صفوفٍ أنيقةٍ تُحيط بها الأزهار وقد امتلأ الحمَّام عن آخره بالمياه الزرقاء الجميلة، وظهر مئات المدعوِّين وهم يتقاطرون داخلين إلى الحفل، وقد ازدانت المنصَّة الكبيرة على صدر المكان بالورود والأزهار، وظهرت الفرقة الموسيقية وهي تعزف ألحان الفرح.

وأخذ الشياطين الـ «١٣» يُتابعون الفيلم وهم في غاية الدهشة الممزوجة بالسعادة ... فهذه أول مرة يُعرض في مقر الشياطين الـ «١٣» فيلمًا عن حفل زفاف.

أخذ عدد المدعوِّين يتزايد باستمرارٍ حتى اكتظَّت الساحة المحيطة بحمَّام السباحة بالمدعوِّين، وبدا كل شيءٍ بهيجًا وجميلًا ... ثم ظهرت الراقصات في زفَّة العروس ... ثم ظهر رجل طويل القامة، شديد الأناقة، يشقُّ طريقه بين المدعوِّين ... وتوقَّف لحظةً عند البوفيه العامر بأطايب الطعام، ثم مدَّ يده فتناول كوبًا من العصير رفعه إلى فمه، ولكن قبل أن يشرب العصير سُمعَ طلقٌ ناريٌّ قويٌّ من الجانب الأيمن لحمَّام السباحة والمجاور للسور الخارجي، وسقطت يدُ الرجل بجانبه ... ثم سقط على الأرض، وتناثر العصير وقطع الزجاج حوله ... وحدث ذعر بين المدعوِّين، وانطلقت الصرخات من أفواه السيدات، وارتبك الحفل الأنيق، وكفَّت الموسيقى ... وجرى بعض المدعوِّين إلى الرجل المصاب.

وفجأةً توقَّفت الكاميرا عن التصوير ... وبدا المنظر ثابتًا لحظات، ثم تلاشى كل شيءٍ، وأُضيئت الأنوار.

وسمع الشياطين صوت رقم «صفر» يتحدث قائلًا: أستكمِل لكم الفيلم بالحديث ... لقد سقط الرجل كما شاهدتم، وأسرع بعض الموجودين لإسعافه، وكان لا يزال حيًّا، ولكن في حالةٍ خطيرةٍ ... واتصلُوا بالإسعاف ... ولحسن الحظ، أو لسوء الحظ تصادف وجود سيارة إسعاف قريبة من الفندق في هذه اللحظات، فأسرعت إليه، وتمَّ نقله إليها، وأنفاسه الواهنة لا تكاد تُسمع ...

وسكت رقم «صفر» لحظات ثم قال: حدث هذا ليلة أول أمس؛ أي منذ ٤٨ ساعة ... وحتى الآن لم تصل سيارة الإسعاف إلى مقر الإسعاف أو إلى أي مستشفى في القاهرة ...

كانت هذه الجملة شيئًا مثيرًا للغاية ... فماذا يعني كل هذا؟

حيًّا ... وميتًا!

عاد صوت رقم «صفر» ليقول: قامت جهات الأمن كلها بالبحث عن سيارة الإسعاف المفقودة ... ولم يُعثَر لها على أثرٍ ... وبالطبع تمَّ حصر جميع سيارات الإسعاف ليس في القاهرة وحدها، ولكن في جمهورية مصر العربية كلها ... واتَّضح أنه لم تكن هناك سيارة إسعافٍ رسمية في هذه المنطقة، لا في هذا اليوم ... ولا في تلك الساعة ...

قال أحد الشياطين معلِّقًا: سيارة مزيفة!

رقم «صفر»: بالضبط ... وفي هذه المنطقة، حيث يوجد أكثر من مخبأ طبيعي لهذه السيارة فليس من المستبعَد أنها اختفت في مكانٍ قريبٍ جدًّا من الفندق، وهو كما تعلمون يقع على طريق القاهرة-إسكندرية الصحراوي، وقريبًا من الأهرامات ومن طريق الفيوم ... وأيضًا عشرات من المزارع الخاصة ... والنوادي الليلية ... والمَحاجر والمناجم ... ومن الصعب جدًّا البحث في كل هذه المتاهات عن الرجل المخطوف سواء أكان حيًّا أو ميتًا!

سأل «أحمد»: ولكن مَنْ هو الرجل؟!

ردَّ رقم «صفر» على الفور: كنتُ على وشك أن أقول لكم مَن هو الرجل ... إنه رجلٌ تُطالب به ثلاث دول، أو فلنَقُل تُطاردُه ثلاث دول ... لقد كان جاسوسًا ... والجاسوس يمكن أن يكون جاسوسًا لدولةٍ واحدةٍ، ومُمكن أن يكون جاسوسًا لدولتين، يتجسس لكل منهما على الأخرى، وهو ما يُسمى بالعميل المزدوج ... أو «الدوبل فاس» ... ولكن هذا الجاسوس كان يعمل لحساب ثلاث دول في وقت واحد ... وهذا يدلُّ على مدى براعته ودهائه، وفي نفس الوقت على مدى خيانته!

عثمان: إذن فإن إحدى هذه الدول هي التي اختطفته!

رقم «صفر»: هذا ممكنٌ ... ولكن كما قلت لكم في بداية هذا الحديث أن عددًا من الأشخاص قد خُطفوا في الفترة الأخيرة بأساليب مُختلفةٍ، ولكن مُتشابهةٌ في نفس الوقت، مما جعلنا نصل إلى استنتاج أن مُنظَّمةً واحدة هي التي تقوم بهذه العمليات!

وصمت رقم «صفر» لحظات ثم قال: ستُوزَّع عليكم نشرة بأوصاف، وصور الجاسوس المخطوف، وكذلك نبذة عن حياته ... وسيُشكَّل فريق عمل منكم للسفر إلى القاهرة للبحث عن هذا الجاسوس أو جثته ... والكشف عن الذين قاموا بذلك ...

وأخذ رقم «صفر» نفَسًا عميقًا ثم قال: هناك ملحوظة هامة ... إن بعض الشخصيات التي خُطفت ظهرت بعد ذلك ... ولكن لم يَستطِع أحدٌ أن يحصل منهم على أية معلومات تؤدِّي للكشف عن هذه العصابة الغريبة، ومن الواضح أن العصابة تُهدِّدهم بطريقة لا تجعل أيًّا منهم يُفكر في الإدلاء بأية معلومات عنها.

تبادل الشياطين الـ «١٣» النظرات ... إنها أول قصةٍ من نوعها ... أن يَخاف المخطوف بعد الإفراج عنه أن يتحدث عن خاطفيه، ومعنى ذلك أن العصابة تَملك من وسائل التهديد ما يُمكِّنها من البطش بمن تُريد ...

وعاد رقم «صفر» يقول: هناك خيطٌ رفيعٌ قد نَستطيع عن طريقه الوصول إلى هذه العصابة، أو على الأقل قد يدلُّنا على مدخلٍ إليها ... وهذا الخيط هو سجينٌ في سجن بطريق مصر-إسكندرية الصحراوي ...

سأل «خالد»: هل هو أحد أفرد العصابة؟

ردَّ رقم «صفر»: لا ... إنه أحد ضحايا العصابة ... وبمعنًى آخر ... إنه أحد الذين خطفتهم العصابة ثم أفرجَت عنهم.

سؤال آخر: هل هو مصري؟

رقم «صفر»: لا ... إنه أجنبي، ولكن يتحدَّث اللغة العربية كأحد أبنائها ... وعندما يتم اختيار مجموعة العمل المُسافرة، فسوف يصل لكم تقرير عن هذا الرجل.

ولم يُضِف رقم «صفر» كلمة أخرى ... ثم غادر المكان؛ فقد سمع الشياطين صوت خطواته المتثاقلة هي تَبتعِد.

تحدَّث «عثمان» فقال: بالطبع، إنَّ مهمة في القاهرة معناها أن يُسافِر «أحمد» ... ولهذا وحتى نُقرِّر سريعًا مجموعة العمل، فإنني أقترح أن يقوم «أحمد» باختيار زملاء المغامرة.

قال «أحمد»: كالعادة، سنُحدِّد فريقَي عمل ... ومبدئيًّا سأسافر أنا و«عثمان» و«إلهام» و«بو عمير» ... وستكون المجموعة الثانية مُكوَّنة من «فهد» و«زبيدة» و«رشيد» و«خالد»!

ورفع الشياطين أيديهم علامة الموافقة، فضغط «أحمد» على مجموعة أزرار أمامه ... وسرعان ما كانت أسماء المجموعتين تظهر في غرفة رقم «صفر» الذي ضغط على زرٍّ واحد أمامه، فظهرت كلمة موافق على لوحة في غرفة الاجتماعات ... وهكذا انفضَّ الاجتماع.

بعد ساعتَين من الاجتماع الكبير مع رقم «صفر» كانت مجموعة العمل الأولى تتلقَّى أول تقرير عن القتيل المخطوف ... الجاسوس، أو ذي الأوجه الثلاثة، وكان تقريرًا عجيبًا ... وكان هذا نَص التقرير:

«شيك ماير» ... رجلٌ بلا جنسيةٍ ... فهو عميلُ جوازات سفر مزوَّرةٍ لأكثر من عشرين دولة ... وُلِد في مدينة «ستراسبورج» على الحدود السويسرية الفرنسية، واشترك وهو صغير في عمليات سَطوٍ ضمن عصابة «الموتوسيكل» ... وهي عصابة من الغلمان استطاعت أن تقوم بعلميات خطيرةٍ رغم صغر سنِّ أفرادها.

قُبض عليه وأُودِع إصلاحية الأحداث حيث تعلَّم الميكانيكا، وأصبح من أمهر المُتعامِلين مع الآلات، سواء السيارات، أو الخزائن، أو الأبواب ... واستطاع بهذه الموهبة الفذَّة أن يُخطط لعمليات سطو ضخمة على عشرات البنوك والقصور في مُختلَف أنحاء أوروبا ... اشترك في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥م)؛ حيث حارب ببسالة وحصل على عدة ميداليات ونياشين لبطولته ... ولكنه بعد انتهاء الحرب نسيَ ما فعله في ساحة القتال، وعاد إلى حياته السرية في اللصوصية.

كُلِّف بسرقة مجموعة من الوثائق الهامة، ورفض أن يُسلِّمهما للدولة التي طلبتها مقابل نصف مليون دولار، وفضَّل أن يَبيعَها إلى دولةٍ أخرى مقابل مليون دولار، وعندما حصل على هذا المبلغ قضى فترة من حياته مُختفيًا ودون أي نشاطٍ ... حتى عاود نشاطه أخيرًا مُفضِّلًا القيام بعمليات لحساب الدولة وليس لحساب الأفراد ... فقام بالتجسُّس لحساب الولايات المتحدة على الاتحاد السوفييتي ... وبالعكس ... ثم قام بالتجسس على الدولتين العُظميَين لحساب دولة ثالثة في أمريكا اللاتينية ... وقد منحته الدولة الأخيرة جنسيتها بالإضافة إلى مبلغٍ كبير من المال.

استطاع تزوير عدة جوازات سفر ببراعة نادرة ... ولأنه يجيد التفكير فقد استطاع أن يعيش بعيدًا عن الخوف فترة طويلة ... ولكن يبدو أن طمعه في مزيد من المال دفعه إلى الأضواء مرة أخرى. إنه كما قلت رجل مُهم ... أو ... لا أهمية له على الإطلاق. وسأفسر الآن هذه الحقيقة، إنه مُهمٌّ؛ لأنه حصل مؤخرًا

على عملية استثمار مصري سعودي مشترك نُقدِّر قيمتها بـ ١٥٠ مليون دولار ... وإذا نفَّذها بأمانةٍ فإن أرباحه منها تصل إلى ٦ ملايين دولار ... ولكنَّ هناك خوفًا من أن يقوم بعملية نصبٍ واسعة النطاق يحصل بمقتضاها على أضعاف هذا المبلغ ثم يفرُّ هاربًا.

وقد يظهر سؤالٌ هامٌّ: كيف ترك الرجل عمليات التجسس، وهي مهنته الأصلية؛ لينقلب إلى رجل أعمال، ويكون غير مُهمٍّ على الإطلاق؟!

أولًا: بالنسبة للنقطة الأولى فليس عندنا معلومات، وبالنسبة للنقطة الثانية، إنه قد لا يكون مهمًّا على الإطلاق؛ لأننا نتوقع ألَّا يكون هو نفس الرجل الذي تحدَّث عنه هذا التقرير ... أقصد أنه قد لا يكون «شيك ماير» ... وكما عرفنا فإن العصابة التي تقوم بهذه العمليات أحيانًا تقوم بخطف أشخاص لا يُهمنا أمرهم على الإطلاق.

إن «شيك ماير»، وهو الاسم الأصلي لهذا الجاسوس، ليس إلا واحدًا من أكثر من عشرين اسمًا له ... والاسم الذي دخل به مصر هو «جيمس فابر» وجنسيته إنجليزية ... ومن الممكن ألَّا يكون «شيك ماير» هو «جيمس فابر»، وقد تكون العصابة قد قتلتْه، ثم اختطفته على أساس أنه «شيك ماير»، وقد يتَّضح أنه شخصٌ آخر. إن رجالنا يقومون بمحاولة متابعته منذ خرج من «روما»، وهي آخر مدينة زارها قبل وصوله إلى القاهرة، للتأكُّد من شخصيته ... فإذا اتضح أنه «شيك ماير» فعلًا، فإن الوصول إليه سوف يكون مسألةً في غاية الأهمية.

انتهى التقرير، ولكنَّ هناك ملاحظةً أخيرة:

الرجل الذي في السجن، سيصل عنه تقريرٌ موجز إلى «أحمد» عندما يستعد للسفر ... إنه الرجل الوحيد الذي يمكن أن يقودنا إلى هذه العصابة أو المنظمة ... وإنه لانتصار ضخم للشياطين الـ «١٣» أن يحطموا أسطورة هذه المنظمة، التي حيرت كل رجال الشرطة وأجهزة المخابرات في العالم كله.

عندما أصبح المجرم ... صديقي!

بمجرد أن تلقَّت مجموعة العمل الأولى التقرير الثاني من رقم «صفر» عن السجين المهم، انطلقت إلى القاهرة ... وفي الطريق قرأ «أحمد» التقرير: تقريرٌ عن سجين الصحراء، أو السجين رقم ٩٨، اسمه «تومي كواتسو»، بولندي الجنسية، كان يَعمل خبيرًا في رسم الخرائط في بلاده، قبل أن تخطفه المنظمة، ليعمل في تزييف العملات الورقية، ولقد أغرق أسواق إيطاليا منذ سنوات بملايين الدولارات، حتى كاد يؤثر في الاقتصاد الإيطالي ... ولم يستطع البوليس الدولي القبض عليه؛ لأنه يختفي خلف وجوه كثيرة، غير أن رجال الأمن المصريين أوقعوا به أخيرًا، حيث نزل ضيفًا على السجن لمدة خمس سنواتٍ، بعد أن ضُبط وهو يخطط لإغراق الأسواق المصرية بملايين الدولارات. ينادونه في السجن باسم «كومي»؛ حيث يفرض زعامته على المساجين. كانت له محاولة للهرب منذ شهور، لكنه فشل.

و«تومي» يعرف الكثير عن المنظَّمة؛ فهو الذي كان يقوم بتنفيذ أعمال منطقة حوض البحر المتوسط.

انتهى التقرير، فقالت «إلهام»: إذن «أحمد» سوف يدخل السجن!

وفي نفس الليلة، كان كل شيءٍ قد تمَّ، وأصبح «أحمد» يقوم ببداية المغامرة وحده.

في اليوم التالي عندما تركت السيارة شارع الأهرام، كانت قد انحرفَت يَمينًا؛ لتدخل في طريق مصر-إسكندرية الصحراوي، وعند أول كشك مرور، رفَع شرطيُّ المرور يده، فتوقفت السيارة التي كانت تحمل رقم «١١٦٢٥ شرطة».

وقال الشرطي: هل معك أحد؟

أجاب السائق: مسجون، في طريقه إلى السجن.

وأخرج السائق مفكرةً صغيرةً، قدَّمها للشرطيِّ فقرأ فيها خط سيره، فوقَّع عليها، ثم أعادها للسائق الذي انطلق في الطريق الصحراوي.

كانت الشمس تأخذ طريقها إلى الغروب، ولم يكن في الطريق الصحراوي في هذه اللحظة أي إنسانٍ، لم تكن هناك سوى سيارة الشرطة التي تحمل السجين «١٢٨» في طريقه إلى السجن.

وبجوار السجين، كان يجلس شرطيان، أمسك كلٌّ منهما بندقيةً، وشرد ببصره دون حديثٍ ... بينما كان السجين يراقبهما بطرف عينه؛ ليقرأ تعبير كل منهما، ولم يكن هذا السجين رقم «١٢٨»، سوى «أحمد»، كان هو والشرطيان يَجلسان في الصندوق الخلفي للسيارة، أما في الكابينة، فقد كان يجلس ملازم شابٌّ، بجوار السائق.

كان الملازم يُدخِّن سيجارة، وقال بعد فترة الصمت الطويلة: «هل بقيَ كثير؟» فأجاب السائق دون أن ينظر إليه: «نصف ساعة.» ثم خيَّم الصمت من جديد، بدأ الليل يهبط على المكان، ولمعت في الأفق الرمادي أضواء سياراتٍ بعيدة.

كان «أحمد» مستغرقًا في هذه اللحظة الهادئة، وشردت خواطره إلى السجن حيث يبدأ مغامرة جديدة تمامًا، ثم شعر أن السيارة تنحرف يمينًا، فعرف أنها تقترب من السجن ثم توقفت بعد قليلٍ، وسمع حوارًا سريعًا، تحركت السيارة بعده، ورأى بوابة السجن، وشجر الكافور الذي يَحُوطها، ثم توقفت مرةً أخرى، وفجأةً ظهر الملازم وقال: «هيَّا!»

قفز «أحمد» بسرعةٍ، وكان يلبس ملابس السجن، وقد كُتِب الرقم على صدره، وفوق رأسه الحليق كان يلبس طاقية من نفس لون الملابس الداكن، وتقدَّم في هدوء خلف الملازم، في الوقت الذي سار فيه الشرطيان خلفه يَحرُسانه، ودخلوا جميعًا مبنى السجن الخافت الضوء، الكئيب المظهر، ولم يكن هناك سوى صوت أقدامهم فوق بلاط الأرض، ومن بعيد، ظهر ضابط على باب حجرة قرأ «أحمد» عليها «مدير السجن».

اقتربوا حتى وقف الملازم مُحيِّيًا مدير السجن تحيةً عسكريةً، ثم قدَّم له أوراق السجين الجديدة، فرمقه المدير بنظرةٍ سريعةٍ، ثم نادى: رقيب «مسعد»!

ظهر رجلٌ ضخم الجثة، ضرب الأرض بقدمه مُحيِّيًا، فقال المدير: عنبر ٦.

نظر الرقيب «مسعد» إلى «أحمد» وهو يصرخ في غضبٍ مُصطَنعٍ: هيَّا أمامي!

تقدَّم «أحمد» في هدوءٍ، في نفس الوقت الذي كان فيه الرقيب «مسعد» لا يزال يُثير ضجيجًا لا لزوم له، بوقع حذائه الضخم على البلاط ... كانت أمامهما طرقةٌ طويلةٌ، تبدو على جانبيها أبواب متعددة متقابلة، ولمح «أحمد» في النافذة الحديدية لأحد الأبواب، وجوهًا تنظر إليه، فعرف أنهم زملاؤه في السجن، وعند باب في مؤخرة الطرقة، توقف الرقيب «مسعد»، ثم أخرج مفتاحًا ضخمًا، وضعه في ثقب الباب، ثم أداره، فانفتح، وتقدم خطوة، وصرخ: تقدم!

تقدَّم «أحمد» في هدوءٍ إلى داخل العنبر، كان عبارة عن حجرةٍ مستطيلة الشكل، لها رائحةٌ نفَّاذةٌ. ومن خلال الضوء الخافت استطاع أن يلمح عددًا من الرجال، لكنه لم يَتبيَّن ملامحهم جيدًا، كانوا يبدون كالأشباح ... وصرخ الرقيب «مسعد»: لا أريد صوتًا، هل تسمع يا «كومي»؟! هذه المرة لن تُفلتَ منِّي لو أحدثت شغبًا!

اختفى الرقيب «مسعد»، وسمع «أحمد» صوت المفتاح يدور في الباب، ثم أخذت خطوات الرقيب «مسعد» تبتعد، حتى اختفت تمامًا، وأصبح الصمت يُغطِّي كل شيءٍ ... كانت العيون تلمع حول «أحمد» الذي ظلَّ يَرقبها في صمتٍ، وأخيرًا تحدث واحدٌ بصوتٍ رفيعٍ، كأنه صوت عصفورٍ: كم سنة؟!

فكَّر «أحمد» بسرعةٍ، كان يعرف أنه لا بد أن يكون قويًّا من البداية، حتى يُنفِّذ خطته جيدًا، فقال في حدَّة: عشرة.

ضحك صوتٌ خشنٌ وقال: لا بأس، هيا أخرج ما تُخفيه.

لم يفهم «أحمد» ماذا يقصد؟ فقال: لا أخفي شيئًا!

ضحك الصوت الخشن مرة أخرى، وقال: أخرج ما تُخفيه، حتى لا يصيبك أذى!

عرف أنه لا بدَّ أن يصطدم بأحدهم حتى يعرفوا قوَّته، فقال في حدَّة: لا أخفي شيئًا!

تقدم رجل مفتول العضلات، وقال: دعه يا «عمران» سوف أجعله يندم لأنه وصل هنا.

وقبل أن يخطو الرجل خطوة أخرى، كان «أحمد» قد طار في الهواء، ثم ضرب الرجل بمشط رجله في بطنه، وبالقدم الأخرى في صدره، فتقهقر الرجل حتى اصطدم بالحائط، ووقف «أحمد» متحفزًا، وكان الجميع ينظرون إليه، لكنه لم يستطع أن يتبيَّن المعنى الخفيَّ في نظراتهم.

قال واحد: هيَّا يا «كومي»، هذه فرصتك، وإلَّا فقدتَ زعامة العنبر!

وقف المساجين فيما يشبه الدائرة، ووضَح أمام «أحمد» أنه سوف يدخل معركة، لا يدري نهايتها، وإن كان لا بد أن ينتصر فيها، وأدار عينَيه بسرعةٍ بين الوجوه التي ترقبه كان يبحث عن «تومي» أو «الكومي» كما يُسمُّونه، واستطاع أن يلمحه بوجهه الأحمر، بين الوجوه السمراء. كان «تومي» يضع على شفتيه ابتسامةً هادئةً، وهو يرقب «أحمد»، أما الباقون، فقد كانت ملامح التحفُّز تبدو واضحةً على وجوههم.

... قام الرجل الذي ضربه «أحمد»، وكان يبدو أن اصطدامه بالحائط قد أصابه بشيءٍ؛ فقد أمسك رأسه بين يدَيه الاثنتين.

طالت لحظة الصمت، فقال «تومي» في النهاية: كيف تُقابلون ضيفًا جديدًا بهذه الطريقة؟!

التفتَت الوجوه كلها ناحية «تومي» الذي أخذ يقترب من «أحمد» ... بينما كان «أحمد» يقف حذرًا، ومستعدًّا لأيِّ حركة حوله.

قال له «تومي»: لا تفعل شيئًا، لقد انتهى الموقف، أنت الآن في حمايتي! ومد يده إلى «أحمد»، الذي فكَّر بسرعة، ثم مدَّ يده إليه، وقبل أن يُفكِّر «تومي» في أيِّ حركةٍ، كان «أحمد» قد سحب يده بسرعةٍ، فضحك «تومي» وقال: أنت زميلٌ جيدٌ، لقد كنتُ أختبرك! وصمت لحظةً، ثم قال: هل ما زلت خائفًا؟

أجاب «أحمد» بسرعةٍ: أنا لا أعرف الخوف!

تراجع «تومي» واستدار، لكنه فجأة، كان قد طار في الهواء، وهو يضرب «أحمد» ضربةً مزدوجةً، إلا أن «أحمد» كان مُستعدًّا لأيِّ حركةٍ مضادةٍ فقفز مبتعدًا وهو يُفكِّر بسرعة: هل يشتبك مع «تومي»، أو يكسب صداقته ... وطاشت ضربة «تومي»، فسقط واقعًا وهو يقول: أنت مساعد طيِّب، هيا ندخل اختبار قوة!

تنفَّس «أحمد» بعمق لقد عرف أنه لا محالة سيَصطدم به، فقال في هدوء: اسمع يا «كومي» أنت سوف تَخسَر الاختبار، أُحذِّرك من الآن!

ضحك «تومي» بعنفٍ وهو يقول: أنت ما زلت صغيرًا! لا تعرف تقاليد السجن، هيَّا تقدم!

قفز «تومي» خطوتين في اتجاه «أحمد» الذي أسرع بخطف «تومي» ودار به دورةً كاملةً، ثم تركه، فاصطدم بحائط العنبر، وسقط في عنفٍ ... فتطلَّعت الأعين نحو «أحمد»، وكانوا ينظرون إليه كشيءٍ غريبٍ.

ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً على «تومي» الذي لم يتحرَّك، وأسرع إليه، لقد كان يُريد أن ينال صداقته؛ فهذه خطته التي دخل بها السجن. عندما انحنى على «تومي»، أحسَّ كأن سقف العنبر قد سقط فوقه؛ حتى إنه وقع فوق «تومي» ... وبسرعةٍ عرف أن معركة قد بدأت، وأنه وحده طرف فيها، في لمح البصر، كان قد قفز كالكرة مبتعدًا، حتى أصبح وحده، فوجد عملاقًا، سمع اسمه منذ قليل عرف أنه «عمران». كان «عمران» يتابعه، إلا أن «أحمد» كان سريع الحركة، فقد تركه يتقدم ناحيته، وفاجأه بحركة جعلت «عمران» طريحًا.

كان «تومي» قد جلس يَرقُب ما حدث، فقال في إجهاد «كفى، كفى!» فوقف «عمران» وعيناه تكاد تُطلق شرار على «أحمد»، وقال «تومي»: لقد فاز «١٢٨»، إنه صديق الجميع الآن، هيا، هيا!

وأخذوا يُسلِّمون الواحد بعد الآخر عليه في قوةٍ، وفي النهاية ذهب إلى «تومي» فمدَّ يده إليه، فضحك «تومي» وهو يقول: لم تَعُد تخاف؟! وسلَّم عليه في قوةٍ، ثم أضاف: اجلس بجواري. وجلس «أحمد» فسأله: ما اسمك؟ قال: حامد.

تومي: ألا تخفي شيئًا؟!

نظر له «أحمد» لحظةً ثم سأل: ماذا تعني؟!

تومي: سجائر، طعام، أي شيءٍ.

ابتسم «أحمد» وقال: لا، لقد أخذوني من سجن «القلعة» إلى هنا مباشرة.

تومي: لا بأس، سوف نكون أصدقاء، إنَّ أمامنا ما يكفي من الوقت.

جلس كلٌّ مسجون على سريره، وأخذ الواحد بعد الآخر يَغرق في النوم، حتى «تومي»، غير أن «أحمد» ظل مستيقظًا لقد كان يستعيد ما حدث بسرعة، بجوار أنه كان يُفكِّر في تلك المغامرة الغريبة التي بدأت، وتذكَّر الشياطين وكيف ينامون في فندق «مينا هاوس» الآن، بينما هو يشمُّ هذه الرائحة النفَّاذة داخل العنبر المُكدَّس بالمساجين، لكنه في النهاية، راح في النوم، وعندما فتح عينيه، كان «تومي» يُوقظه بهدوءٍ، وهو يقول: هيَّا بسرعةٍ، يبدو أنك سهرت كثيرًا!

ابتسم «أحمد» ثم قفز من سريره، في الوقت الذي كان كل مسجونٍ يُخرج فراشه للشمس ... وبدأت أول أيام السجن في حياة «أحمد». لقد أصبحت تحرُّكاته كلها مرتبطةً «بتومي» الذي وجد فيه شخصيةً مثقَّفة، حتى إنه ربَّت على كتفه وقال: أخيرًا وجدت من أستطيع أن أتحدَّث معه!

كان «أحمد» يُحاول أن يكسب ثقة «تومي» بسرعة، حتى يبدأ في تنفيذ بقية الخطة، ومع كل يوم يمر، كان «تومي» يقترب من «أحمد» أكثر، حتى إنه كان يحدِّثه عن عمله الأول في بولندا، ويُحدِّثه عن ذكرياته القديمة، أيام كان صغيرًا ...

لقد قامت علاقة وثيقة بين الاثنين، لكن كلُّ ما حكاه «تومي»، لم يكن هو ما يُريده «أحمد» ... أخيرًا قرر أن يضرب ضربته، التي تجعل «تومي» يثقُ فيه بلا حدودٍ ...

كان الوقت وقت الغداء، عندما اجتمع المساجين في عنبر الطعام، والحرَّاس يقفون بعيدين، وكل مسجونٍ مشغولٌ بما أمامه من طعامٍ، فنظر «أحمد» إلى «تومي» لحظةً، ثم قال في همسٍ: لقد قررتُ الهروب.

لمَعَت عينا «تومي» وهو يَستمِع إلى «أحمد»، ولم يُعلِّق بشيءٍ، وقال «أحمد» بعد قليلٍ: لقد بدأت أفكِّر في الخطة، والمكان هنا يُساعد على ذلك.

قال «تومي» هامسًا: دع حديثنا لفترة العمل. انتهى الطعام، فانصرفوا للعمل، وكان «أحمد» بين مجموعة «تومي» التي تعمل في مزارع السجن، والتي تحوطُها الأسلاك الشائكة، ونقط الحراسة القوية، بجوار تلك الكشافات التي تُضاء بالليل، فتجعل المنطقة كالنهار، كانا في حقل طماطم، يقومون بجمع الثمار الناضجة، فهمس «تومي»: هل أنت جادٌّ؟!

قال «أحمد» بسرعةٍ: وأنت؟!

ردَّ «تومي»: إنني معك. وهكذا بدأت خطة الهرب.

الاثنان ... في سيارة نقل!

سأل «تومي»: هل تعرف المنطقة جيدًا؟

أحمد: نعم، أعرفها بالخطوة.

صمت «تومي» وأخذ يُداعب بعض الحشائش النابتة وسط الطماطم، بينما قال «أحمد»: إن مشكلتي هي كيف الخروج من مصر؟!

فنظر «تومي» له نظرةً مُستقيمةً، ثم عاد يداعب الحشائش من جديدٍ، بينما يقول سؤاله في بساطة: هل تفكر في الهرب من مصر؟!

أجاب «أحمد» بلهفة: نعم، لكني لا أعرف كيف؟

ابتسم «تومي» ابتسامة عريضة، ثم ربَّت على ظهر «أحمد» وقال واحدة بواحدةٍ. إذا استطعت أن تؤمِّن لي الهروب من السجن أؤمِّن لك الهروب من مصر.

صاح «أحمد» في سعادةٍ: هل تعني ما تقول؟

فقال «تومي» في هدوءٍ: نعم، لكن هذه مسألةٌ مؤجَّلةٌ حتى نخرج من هنا.

عرف «أحمد» أنه بدأ الطريق إلى حيث يُريد. كان عليه أن يُعدَّ خطة الهرب، وكان من الضروري أن تنجح الخطة.

ذات مساءٍ، بينما كان المساجين عائدين إلى عنابرهم، كان «أحمد» بجوار «تومي» فهمس: لقد أعددتُ كل شيءٍ.

ظهرت الدهشة على وجه تومي، وسأل: كيف؟!

قال «أحمد»: عندما استدعاني الرقيب «مسعد»، كان بعض أقربائي قد حضروا لزيارتي، اتفقت معهم على نقطة معيَّنة، سوف يخفون فيها حقيبة بداخلها الملابس التي نحتاجها، حتى لا يعرفنا أحد ... ثم صمت «أحمد» ليرى وقع الحديث على «تومي»، الذي كان يُنصِت. فسأل: المُهم، كيف سنهرب من هنا؟!

ردَّ «أحمد»: ساعة الغداء.

علت الدهشة وجه «تومي» وردَّد: ساعة الغداء؟!

قال «أحمد»: نعم.

تومي: متى إذن؟

أحمد: إنني أنتظر زيارة أخرى، ثم أخبرك.

كان «تومي» يبدو سعيدًا بتلك الأنباء التي نقلها «أحمد» إليه. في نفس الوقت كان «أحمد» قد أرسل رسالةً إلى رقم «صفر» يشرح له فيها ما تمَّ. وجاءه الرد بأن كل شيءٍ سيكون مُعدًّا، وأن الشياطين سوف يأتون لزيارتِه. وفي اليوم التالي وبينما كانوا يعملون، حضر الرقيب «مسعد» وصاح: المسجون ١٢٨ ... زيارة. الْتَقت أعين «تومي» و«أحمد» الذي انسحب بسرعةٍ.

وفي جانب من حديقة السجن، كان الشياطين ينتظرون؛ «إلهام» و«بو عمير» و«عثمان»، وما إن رأوا «أحمد» حتى التفُّوا حوله في سعادة حقيقية، وقالت «إلهام» مُبتسمة: لقد أصبحت مسجونًا حقيقيًّا. وأخذوا يتحدثون في سرعةٍ حتى لا يلفتوا النظر ... وقال «عثمان»: يوم الثلاثاء القادم، يعني بعد يومين، سوف تأتي سيارة نقل لحمل أقفاص الطماطم، رقمها ٩٥٩ نقل جيزة، مع سائقها سوف تجدان الملابس المطلوبة، عليكما بلبسِها، ثم الركوب، أحدكما بجوار السائق والآخر في صندوق السيارة بين الأقفاص، بعد ذلك كل شيءٍ جاهز.

... ثم أكمل «بو عمير» ترتيبات رقم «صفر» التي تبدأ منذ خروج السيارة إلى الطريق، واقترب أحد الحرَّاس منهم، ثم قال: لقد انتهت الزيارة.

رفع «أحمد» صوته وقال: بلِّغوا إخوتي أشواقي، وأخبروهم أننا سنَلتقي قريبًا. وامتدَّت أيديهم بالتحية ثم انصرفوا.

ظل «أحمد» يرقبهم قليلًا، ثم أخذ طريقه إلى «تومي» الذي كان ينتظر في لهفة، وما إن رآه، حتى ابتسم ابتسامة عريضة؛ فقد رأى «أحمد» يَقترِب مُبتسمًا، وعندما جلس بجواره سأله: هل كانت الزيارة موفَّقة؟

نظر «أحمد» حوله في ريبةٍ، حتى يُعطيَ أهمية لما يقول، ثم همس: موفَّقة تمامًا، كل شيءٍ جاهزٌ.

مدَّ «تومي» يده، ثم شدَّ على يد «أحمد»، وهو يتلفَّت حوله، وانتهت فترة عمل الصباح، وجاءت فترة الغداء، فأخذوا طريقهم إلى عنبر الطعام في صفٍّ طويلٍ، وكان «تومي» يسير خلف «أحمد».

وعندما جلسوا إلى الترابيزات المُمتدة، أخذ الاثنان مكانًا متجاورًا، وأخذ عمال المطبخ، يضعون الطعام في الأواني أمام المساجين، مال «تومي» ناحية «أحمد» وهمس: هل اقترب الوقت؟

هزَّ «أحمد» رأسه بالإيجاب دون أن ينطق، كان يبدو أن «تومي» متلهِّف لأن يعرف، ظلَّا صامتين وهما يتناولان الغداء، حتى إذا انتهيا، أخذا طريقهما بين المساجين إلى حيث تمتد المزروعات، وهناك أخذا جانبًا وهما يقومان بجمع الطماطم.

قال «تومي»: متى؟

نظر له «أحمد» قليلًا ثم قال: الساعة الثانية.

وكأن «تومي» لم يصدق أذنيه، فسأل: الثانية ليلًا؟!

لم يرد «أحمد» مباشرة، فقال «تومي»: إن الموعد غير مناسبٍ، لقد حاولتُ الهرب ليلًا، فلم أستطع، ونلتُ عقوبةً بدنية قاسية.

ابتسم «أحمد» وقال: الثانية نهارًا. واقترب أحد الحرَّاس فانهمكا في جمع الثمار، ثم نقلها إلى حيث تُعبَّأ في أقفاصٍ تُشحَن في سيارات إلى القاهرة ...

واستمر العمل بقية النهار، كان «تومي» قَلِقًا، ينظر إلى «أحمد» كثيرًا، في الوقت الذي انشغل «أحمد» فيه بالعمل، دون أن يَنظر حوله. ومالت الشمس إلى المغيب، وبدأ المساجين ينتظمون في طابور الانصراف، وقد وقف الحرَّاس يعدُّونهم.

وعندما دخلوا العنبر، ألقى كلٌّ من المساجين نفسه على سريره. فقد كان العمل شاقًّا اليوم.

نظر «تومي» إلى «أحمد» ثم اقترب منه، وهمس: لم تَقُل لي التفاصيل!

قال «أحمد» في هدوءٍ: لا توجد تفاصيل، بعد يومين سيتمُّ كل شيءٍ.

ظل «أحمد» صامتًا طوال اليومين، وحتى عندما كان «تومي» يتحدَّث إليه، لم يكن يرد. وجاء يوم الثلاثاء، وخرجا بين المساجين إلى حيث العمل اليومي. واقترب «تومي»، وسأل: موعدنا اليوم؟

أجاب «أحمد» في هدوءٍ: نعم.

وظل «تومي» يروح ويجيء في توتُّرٍ. كان يُريد أن يعرف مزيدًا من التفاصيل ...

في النهاية اقترب من «أحمد» وسأله: لماذا أنت صامتٌ هكذا؟ هل أنت خائفٌ؟

لم يرد «أحمد» مُباشَرة فقد مرَّ بعض الوقت قبل أن يقول: أفكِّر في الموقف بعد هروبنا.

اتسعت عينا «تومي»، ثم ملأت وجهه ابتسامة عريضة وهو يهمس: لا تُفكِّر في ذلك، إنك منذ اليوم ستنضمُّ إلينا ... وصمت «تومي» ولم يُكمل.

فقال «أحمد» في غير اهتمام: أنضمُّ إلى مَنْ؟!

أجاب «تومي» مُبتسمًا: سوف تعرف، عندما تتنفَّس هواء الصحراء.

بدأت سيارات النقل تظهر؛ لتحمل أقفاص الطماطم، وظلت عينا «أحمد» تقرأ الأرقام، حتى ظهرت السيارة رقم ٩٥٩ نقل جيزة، وتوقفت بعيدًا ...

فقال «أحمد»: استعد؛ إن اللحظة قد حانت. ونقل إليه كيف سيتصرَّف؟

تقدَّم «أحمد» أولًا، حتى وقف عند مجموعة الأقفاص فحمل اثنين منها، وتقدَّم بهما إلى السيارة ٩٥٩. وفجأة، ملأت وجهه ابتسامة أخفاها بسرعةٍ، لقد رأى ... «عثمان» و«بو عمير». كان «عثمان» يقوم بالقيادة، و«بو عمير» يعمل بالتحميل على السيارة. وضع القفصين على الأرض أمام «بو عمير»، ثم قفز إلى صندوق السيارة، ناوله «بو عمير» قفصًا، أخذه منه، وبينما كان يضعه أسفل الصندوق، رأى الملابس في انتظاره، رقَد على ظهره، ثم بدأ يخلع ملابس السجن بسرعة، ويلبس الملابس الأخرى التي كانت تُشبه ملابس «بو عمير». ثم ظهر بسرعةٍ فناوله «بو عمير» القفص الثاني، فأخذه منه.

همس «أحمد» لـ «بو عمير» بأوصاف «تومي»، فأسرع «بو عمير» في اتجاه المساجين، حتى إذا اقترب من «تومي» قال: هيَّا احمل الأقفاص بسرعةٍ حتى لا تتأخَّر فهذه الحمولة سوف تذهب إلى «بورسعيد» والطريق طويلٌ.

حمل «تومي» قفصَين، ثم تقدَّم في اتجاه السيارة، وخلفه سار بعض المساجين يَحملون أقفاصًا أخرى. كان «أحمد» قد اختفى، فقال «عثمان» مُخاطبًا «تومي»: هيَّا اصعد إلى الصندوق، وضَعْ الأقفاص.

قفز «تومي» إلى أعلى الصندوق، ثم بدأ يأخذ الأقفاص ويَرصُّها بجوار بعضها، كان المساجين قد وضعوا الأقفاص قُرب السيارة، وانصرفوا ليأتوا بغيرها. ظلَّ «عثمان» و«بو عمير» يُناوِلان «تومي» أقفاص الطماطم حتى انتهت. وفجأةً سمع مَن يُناديه من خلف الأقفاص، وظهر وجه «أحمد».

رقَد «تومي» على ظهره، وبدأ يُغيِّر ملابسه، وفي نفس الوقت ظهر «أحمد» مكانه بالملابس الأخرى. ظلَّ المساجين يَحملون أقفاص الطماطم حتى امتلأت السيارة، وأعلن «عثمان» أنها تَحمِل كفايتها الآن. ثمَّ قال للحارس الذي اقترب: هل تحتاجون شيئًا آتيكم به غدًا؟

شكره الحارس، فقفز إلى عجلة القيادة وقفز «بو عمير» إلى جواره فانطلقت السيارة.

وعند البوابة توقفت قليلًا، وقال «عثمان»: هل تأمُرون بأيِّ شيءٍ آتيكم به باكرًا؟

شكره الشرطي الواقف على الباب، وغادرت السيارة السجن ...

كان «أحمد» و«تومي» يقبعان بين أقفاص الطماطم وعندما عرفا أنهما أصبحا خارج حدود السجن قال «تومي»: إلى أين تتَّجه السيارة الآن؟

أجاب «أحمد»: إلى القاهرة.

قال «تومي»: يجب أن نغادِرَها عند مفترق طرق القاهرة–الفيوم.

أحمد: لماذا؟

تومي: سوف نذهب إلى «قارون» إنهم هناك.

أحمد: مَن؟!

تومي: سوف تَعرف فيما بعد.

في اللحظة التي كان الحوار يدور بين «تومي» و«أحمد»، كان «بو عمير» قد ألصق سماعةً مكبِّرة في صندوق السيارة فاستمع للحوار، وعندما اقترب مفترق الطرق الذي تحدَّث عنه «تومي» أبطأت السيارة حتى توقَّفت، وخرج «بو عمير» وتحدَّث إليهما، وقال: لقد انتهت مهمتنا، هكذا كان اتفاقنا مع والدك يا أخ «حامد» الآن، يجب أن تُغادِرا السيارة.

ابتسم «أحمد» وقال: نحن نشكُرُك جدًّا.

ثم قفز من السيارة، وتبعه «تومين».

استمرَّت السيارة في طريقها، في نفس الوقت كان «تومي» و«أحمد» قد دخَلا في طريق الفيوم. ظلا سائرين فيه، يشيران إلى سيارات كثيرة تمر، إلَّا أنه لم تقف لهما سيارة.

بعد نصف ساعةٍ من الانتظار أقبلت سيارة ملاكي الفيوم ورفع «أحمد» يده مُشيرًا إليها، فتوقفت. اقترب منها، وأخفى دهشته عندما رأى مَنْ فيها. قال: هل يُمكن أن تأخذانا معكما؟

جاءه الردُّ: تفضَّل.

نظر إلى «تومي» الذي ابتسم، وقفزا داخل السيارة التي انطلقت إلى الفيوم.

جهاز الإرسال في الصالون!

كانت مجموعة العمل الثانية هي التي تجلس داخل السيارة الملاكي؛ «فهد» و«زبيدة» و«رشيد» و«خالد». كان «فهد» يجلس إلى عجلة القيادة، وبجواره «زبيدة» فجلس «أحمد» و«تومي» بجوار «رشيد» و«خالد».

سأل «أحمد»: هل الأصدقاء من الفيوم؟

أجاب «فهد»: نعم.

سأل «تومي»: هل تذهبون إلى الفيوم ذاتها؟

قال «فهد»: نعم، لكننا سوف نأخذ طريق بحيرة قارون، إنه ممتع هذه الأيام!

فنظر «تومي» إلى «أحمد» وهو يقول: إننا حسَنا الحظ جدًّا؛ فهما يمرَّان في طريقنا تمامًا.

سألت «زبيدة»: وهل أنتما من قارون؟

فأسرع «تومي» يقول: لنا أقاربٌ هناك.

قال «فهد»: في أي مكانٍ؟

أجاب «تومي»: بالقرب من «جزيرة حمدي»، هل تعرفُها؟

فكَّر «فهد» قليلًا قبل أن يقول: تلك التي تقع قريبة من القرن الذهبي؟

فظهرت دهشةٌ سريعة على وجه «تومي»، لكنه غطَّاها بابتسامةٍ وهو يقول: تقريبًا.

انطلقت السيارة بسرعةٍ، وكانت لحظة غريبة، ومُثيرة، فلا أحد من الشياطين يستطيع أن يُجري حوارًا صريحًا مع «أحمد»، ولذلك فقد أخذ الشياطين يتحدَّثون معًا بطريقة يفهمها «أحمد»، ويفهم منها تعليمات رقم «صفر».

كان الطريق الأسفلتي يمتد متعرجًا بين الرمال الصفراء وعندما وصلوا إلى منطقة «المفارق» قالت «زبيدة»: هذا هو طريق الفيوم. وأشارت إلى اليسار.

إلا أن السيارة ظلت في طريقها المستقيم إلى منطقة قارون، وبدأت الأراضي الزراعية، وبعد قليلٍ، ظهر «أوبرج الفيوم» ذلك الفندق القديم البديع، الذي يقع على شاطئ بحيرة قارون.

وعندما تجاوزته سيارة الشياطين قالت «زبيدة»: يجب أن نَحضُر موسم صيد البط هنا.

وأصبح الطريق يمتدُّ مُحاذيًا شاطئ البحيرة، ومن بعيدٍ ظهرت ربوةٌ عاليةٌ اسمها «جبل الزينة»، وهي منطقة مقابر، فقال «تومي» مُبتسمًا: سوف أنزل بعد هذه الربوة مباشرةً. وصمت قليلًا ثم قال: إننا نشكرُكُم تمامًا، ونتمنَّى أن نلتقي مرةً أخرى.

تجاوزت السيارة «جبل الزينة» ثم توقفت. نزل «تومي» وتبعه «أحمد»، وظلَّا واقفَين يُشيران للشياطين حتى انطلقت السيارة.

نظر «أحمد» حوله ثم قال: إن المنطقة لا يبدو فيها أثرٌ لمكانٍ!

قال «تومي» بفرحٍ: لا تقلق سوف نسير قليلًا. مدَّ يده، وأشار في خطٍّ مستقيمٍ إلى مجموعة أشجار مرتفعة، تبدو بعيدًا، وقال: هل ترى هذه الكتلة من الأشجار؟ إنها «جزيرة حمدي».

كان «أحمد» يعرف المنطقة جيدًا، لكنه كان يَترك «تومي» ليقول كلَّ ما عنده.

بدأ «تومي» يتحدث: الآن، سوف أقول لك كلَّ شيءٍ، إننا هاربان معًا من السجن ومصيرنا واحد؛ أي إننا أصبحنا زملاء، حتى لو رفضنا ذلك ... وصمت قليلًا، وهو ينظر إلى الأمام وكأنه يتخيَّل شيئًا ... ثم قال: إنني أعتقد أنك سوف تنال الإعجاب، فكلُّ الأعضاء على مستوى طيبٍ من الأداء، والتصرف، وأنت تملك هذه الإمكانيات، سوف تَهرب خارج مصر، دون أن يشك فيك أحد، وحتى لو وقف رجال الأمن المصريون في كل المنافذ، فسوف تخرج؛ إن لنا أعمالنا الهامة.

كانا قد سارا أكثر من كيلومترين، وبدأ «تومي» يشعر بالتعب، قال: فلنَستَرِح قليلًا، ثم نستمرُّ، إننا في منطقة الأمان.

كانا يقفان عند ربوةٍ مُتوسِّطةٍ تُطلُّ على بحيرة قارون، وجلس «تومي» على الأرض ومدَّ رجليه في الهواء، وقال: اجلس، لا يوجد أمتع من الحرية!

كان «أحمد» يفكِّر، إن كلمات «تومي» قليلةٌ، وإن كانت الكلمات الأخيرة لا بأس بها، وفكَّر أن يسأله لكنه تراجَع، جلس بجواره، وأخذ يستنشق الهواء باستمتاعٍ، ونظر له «تومي» قليلًا، ثم قال وهو يُربِّت على كتفه: إنني أثق فيك تمامًا ... ولذلك، سأقول لك

السر، كل شيءٍ تراه بنفسك، لكني سوف أعطيك فكرةً عن كل شيءٍ قبل أن تراه، حتى تكون مستعدًّا ومن يدري فقد نجد عملية جديدة أمامنا.

وصمت قليلًا ثم قال: إنني أعمل في عصابة دولية، وهي تحت طلب أي جهة تطلبها، وتستطيع أن تقوم بأي شيء، تخطف ناسًا لهم أهمية خاصة، وتَخطف أثرياء، وتُقيم الحروب، المسألة لها ثمن. إنَّ أي عملية يَجري الاتفاق عليها، مع إدارةٍ خاصةٍ داخل العصابة، ثم يبدأ التخطيط، ثم التنفيذ، إنني واحدٌ من فرع التزييف، يُمكن أن أُزيِّف العملات الورقية مهما كانت جنسيتها، وأزيِّف الأوراق الرسمية، والخرائط؛ فأنا خبيرٌ فيها، وسوف أقوم بتزوير باسبور خاصٍّ، حتى تخرج من مصر، هذه مسألةٌ سهلةٌ.

ونظر إلى أمواج البحيرة ثم قال: إنها عصابةٌ للإيجار، يؤجِّرها الأفراد، وتؤجرها الدول أيضًا.

في الوقت الذي كان «تومي» يتحدث، كان «أحمد» يُركِّز انتباهه تمامًا مع كل كلمة، إن هذه هي فرصته الذهبية؛ فهذه هي كل المعلومات المطلوبة. فكَّر وفكَّر هل يَلتحم مع «تومي» ويهاجم مقر العصابة هو والشياطين؟ أو أنه يجب أن ينتظر قليلًا؛ حتى يكون داخلها؟ وفي النهاية قرَّر أن ينتظر.

نظر له «تومي» وقال: هيا بنا، حتى لا يدركنا الليل.

كانت الساعة قد اقتربت من الخامسة عصرًا، وبدأت الشمس تُلوِّن الجبل حول البحيرة بألوان متعددةٍ، تجعله وكأنه لوحةٌ رائعةٌ، حتى إن «أحمد» لفت نظَر «تومي» إلى المنظر، إلَّا أن «تومي» قال: في المَقرِّ، سوف ترى الطبيعة الجميلة، وسوف آخذك في رحلات إلى الجبل. سارا صامتين فترةً، كانت «جزيرة حمدي» تقترب، حتى أصبحت أمامهما تمامًا، كانت عبارة عن مساحةٍ خضراء وسط المياه الزرقاء للبحيرة، ولم يكن يظهر منها شيءٌ، سوى هذه الكتلة الخضراء التي يربطها بالطريق الأسفلتي طريقٌ ضيقٌ.

وعندما اقتربا منه، ظهر حارس يلبس الملابس البلدية، سأل: إلى أين؟

قال «تومي»: ع ١٣ م!

قال الحارس: لحظة واحدة.

اختفى الحارس عدة دقائق بين أشجار الورد التي تُخفي أي شيء، ثم عاد، وهو يقول باحترام: لحظة واحدة.

لم تمر دقائق، حتى ظهرت سيارة مُسرعة آتية من أعماق الجزيرة، ثم توقفت، ونزل منها رجل متوسِّط السنِّ صاح عندما رأى «تومي»: «كواتسوا» أخيرًا!

تعانقا، وقال «تومي»: هذا صديقي «حامد» يا مستر «دوك».

نظر «دوك» إلى «أحمد» ومدَّ يده مُحيِّيًا، وهو يقول: ما دام صديقك فهو صديقنا ... هيا، هيا!

ركبوا السيارة التي دارت داخل الحديقة الواسعة التي تقع في مقدمة الجزيرة، ثم اتجهت إلى الداخل، وظلت تسير بين النباتات، بينما كان «تومي» يُقدِّم تقريرًا سريعًا إلى «دوك» عن «أحمد»، وكيف عاوَنَه في الهرب ... وكان «أحمد» يبدو مُستغرقًا في مشاهدة ما حوله لكنه في الحقيقة كان يستمع إلى كل الكلمات التي قيلَت، ثم توقفت السيارة، أمام فيلَّا أنيقة، وقال «دوك»: تفضلا! ثم ابتسم لـ «أحمد» وقال: أهلًا يا سيد «حامد»!

تقدموا إلى داخل الفيلَّا، كانت هادئة تمامًا، حتى إنها تبعث على الريبة، ودخلوا في صالون متَّسع، له شرفات زجاجية تطلُّ على البحيرة، فقال «تومي»: ما رأيك يا صديقي «حامد»، أليست لوحة رائعة؟! فأبدى أحمد حماسَه الشديد للمكان، فقد كان غاية في الجمال فعلًا، وسأل «دوك»: أظنُّكما مقتولان جوعًا!

وضغط على زرٍّ بجواره، فدخل خادمٌ ضخمٌ، قال له بضع كلماتٍ فانصرف.

نظر إلى «أحمد» وقال: أظنُّ أنكما في حاجةٍ إلى تجديد نشاطكما بحمَّامٍ ساخنٍ، هيَّا!

وضغط زرًّا فجاء خادمٌ آخر، ألقى إليه أوامره، ثم أشار إلى «أحمد» الذي تبعه، فصعد سلمًا، ثم فتح الخادم بابًا، وأشار إليه، فدخل وأغلق الباب.

وقف «أحمد» يَستطلِع المكان حوله، وكان عبارة عن حجرةٍ واسعةٍ، تُطلُّ على البحيرة، وتقع فوق الصالون الأسفل تمامًا، وعلى يساره رأى حمَّامًا أنيقًا، تجوَّل في الحجرة قليلًا وفتح الدولاب، فوجد ملابس متعدِّدة الأحجام والألوان، وفكَّر: هل يُرسل رسالة إلى الشياطين؟ لكنه قال لنفسه: ربما أكون مراقبًا الآن ... يجب تأجيل ذلك إلى ما بعد.

أخذ حمامًا ساخنًا، فاستعاد نشاطه فعلًا، وفتح الدولاب وبدأ يختار بعض الملابس التي تُلائمه، فجأةً سمع صوتًا يقول: إن بينها ما يُناسبك. توقفت يده لحظةً، ثم استمرَّ، لقد تأكد أنه مراقبٌ الآن وقال في نفسه: كان يُمكن أن أكشف نفسي، لو أرسلت أي رسالةٍ للشياطين.

لبس ملابسه، وعندما كان يخطو في اتجاه الباب، أحسَّ بدفءِ جهاز الاستقبال الدقيق المثبَّت فوق صدره، وعرف أن هناك رسالةً ما. توقف لحظةً سريعةً، لكنه استمرَّ في مشيته حتى لا يكشف أمره، وفي نفس الوقت كان يُركِّز ذهنه تمامًا في الرسالة، وهو ينزل درجات السلم إلى الطابق الأول، وعندما كان يدخل حجرة الطعام، حيث كان «تومي» في انتظاره، كان قد استقبل الرسالة، وعرف ما سوف يفعله.

قال «تومي» في مرح: ما رأيك؟

ابتسم «أحمد» وهو يردُّ: رائع!

قال «تومي» سوف ترى ما يُعجبك، وسوف تشعر بالسعادة بيننا!

ثم استغرقا في الأكل، وكان «أحمد» يفكر في الرسالة التي وصلته ...

كانت الرسالة تقول: ثبِّت جهاز الإرسال في أي مكانٍ في الفيلَّا، وانتظر.

كان الجهاز الدقيق موجودًا تحت إبطه، وفكَّر: عندما أدخل الحمام لأغسل يدي، سوف أنقله من جيبي لأضعه في أيِّ مكانٍ في اللحظة المناسبة.

انتهى من طعامه، وكان «تومي» لا يزال يأكل، قام إلى الحمَّام، فغسل يديه بسرعةٍ، ثم أخرج الجهاز ووضعه في جيبه، وفكَّر في نفس الوقت: أرجو ألَّا أكون مراقَبًا.

عاد إلى حيث كان «تومي» الذي انتهى من طعامه فقال: لقد امتلأتُ حتى النهاية، ثم ضحك، وأضاف: انتظرني في الصالون. فأخذ طريقه إلى الصالون الذي كان خاليًا، واقترب من الشرفة العريضة التي تُطلُّ على البحيرة.

كانت هناك كنبة كبيرة تقع أمامها، فوقف، وكأنه قد استغرق في تأمُّل البحيرة وقت الغروب الذي كان قد بدأ يزحف إلى الوجود، وفي هدوءٍ، أخرج الجهاز، وثبَّته خلف مسند الكنبة، وعندما كان يضغط عليه، جاءه فجأةً صوت «دوك» يقول: ما رأيك؟ أليس منظرًا بديعًا؟!

استدار في هدوءٍ وهو يقول: إنه بديعٌ بلا شك!

ثم ابتعد عن الكنبة، وجلس «دوك» وأخذ يتحدَّث أحاديث كثيرة عن الحياة في هذا المكان، ورحلات الصيد التي يَخرج فيها، حتى دخل «تومي» مبتهجًا، وهو يقول: نحتاج لحفلٍ صغير الليلة، نقدِّم فيه صديقنا «حامد» إلى بقية الزملاء.

فقال «دوك» بهدوءٍ: إنهم في الانتظار، وتكريمًا لصديقنا «حامد»، فإن الحفلة سوف تكون في القاعة السريَّة.

وقف «دوك» قائلًا: هيا بنا!

تقدَّم، فتبعه «تومي» ثم «أحمد»، خرجوا إلى الحديقة، فركبوا السيارة، كان يقودها «دوك»، ودارت نصف دورة، ثم أخذت طريقها في جوف الليل، في اتجاه البحيرة، وكأنهم سوف ينزلون فيها، كان صوت الموج يقترب أكثر فأكثر، ولم يكن يظهر في الظلام إلَّا النباتات تحت شعاعَي الضوء الخارجان من السيارة.

فجأة، توقفت السيارة ثم سلَّطت أضواءها على مبنًى مُستدير، وقال «دوك»: هذه هي.

كل شيءٍ ... في المخبأ السري!

نزل «تومي» فتبعه «أحمد»، لكنهما لم يدخلا القاعة جاء «دوك»، وقف أمام المبنى، الذي كان يبدو مثل كرة قدمٍ كبيرةٍ، ضغط على زرٍّ في الجدار، فدارت الكرة، حتى توقفت بعد قليلٍ، وفتح الباب، دخل «دوك» فدخلا خلفه.

كان الذهول يصيب «أحمد»، لقد كانت قاعةً غريبةً، مليئة بالأجهزة والكاميرات. وقف «أحمد» ينظر حوله ... فقال «دوك»: يومًا ما سوف تعرف كل هذه الأشياء.

تقدم الثلاثة، حتى دخلوا حجرة اجتماعات صغيرة، كانت تضمُّ عددًا من الرجال.

قال «دوك»: الزملاء: تين، همفري، تيستا، ديكار، رول، ماتي.

كان «أحمد» يُتابع الأسماء، وهو ينظر إليهم.

أخيرًا قال «دوك»: الصديق «حامد»، رجلنا الجديد.

وقفوا جميعًا، فحيَّاهم «أحمد» بانحناءةٍ، وأخذ كلٌّ منهم مكانه حول مائدةٍ مُستديرة، ضغط «دوك» زرًّا، فتحرَّكت المائدة، حتى أصبحت في شكل حدوة الحصان، فجأة، شاهد «أحمد» أضواء تلمع عن بعد، وشمَّ رائحة البحيرة.

ظهرت الدهشة على وجهه فقال «دوك»: إنك أمام البحيرة مباشرة، هذه الأضواء التي تلمع ... قوارب صيد.

بينما كان «دوك» يتحدث وصلت رسالة إلى «أحمد» كانت الرسالة تقول: الهجوم الليلة! كان ينظر إلى «دوك» ويحاول أن ينسى الرسالة مؤقتًا.

قال «دوك»: إذا خرجت من هنا، يكون بينك وبين الماء متران فقط. وصمت لحظةً، ثم قال: في الصباح يُمكن أن ترى كل هذه الأشياء بوضوحٍ.

وضغط زرًّا أمامه، فخرجت من وسط الحدوة منضدة مستديرة، كانت تحمل أكواب العصير، مدَّ كل واحد يده يأخذ كوبه، ورفع «دوك» كوبه قائلًا: في صحة صديقنا «حامد»، ولتكن بداية جيدة لزمالةٍ طويلةٍ. فرفعوا أكواب العصير، ثم أخذوا يشربونها في هدوءٍ ...

بعد عشر دقائق، قال «همفري» الذي كان يبدو أطولهم: هل نبدأ الاجتماع حتى ننتهي من عمل الغد؟

قال «دوك»: لا بأس، وحتى يرى «حامد» طريقة العمل.

وصمت «دوك» قليلًا، ثم ضغط زرًّا أمامه، فأُضيئت شاشة صغيرة، ظهر على وجهها وجه رجل هادئ، قال «دوك» يُخاطبه: هل أعددت رحلة الغد؟

جاءه الرد: نعم.

دوك: هل «شيك ماير» مجهَّزٌ للرحلة؟

الرد: نعم.

وقع اسم «شيك ماير» في سمع «أحمد»، فجعله أكثر تركيزًا؛ إذن هذا هو الرجل المهم جدًّا الذي خطفته سيارة الإسعاف بعد قتلِه.

قال «دوك» يُخاطب «همفري»: كل شيءٍ جاهزٌ.

كانت هذه فرصته، فكَّر فيها «أحمد»؛ إن الرجال كلهم في مكانٍ واحدٍ في نهاية الجزيرة، لو أن الهجوم يحدث الآن لكانت النتيجة مضمونة.

نظر له «دوك» قائلًا: هل تحب أن ترحل غدًا؟

فكَّر «أحمد» بسرعة: نعم.

ضحك «تومي» وهو يقول: إنه يخشى العودة إلى السجن!

قال «دوك»: من الصعب أن يعود مرةً أخرى.

فجأة، أظلمت القاعة، وصاح «دوك»: ماذا حدث؟!

لم يردَّ أحد، ضغط أحد الأزرار أمامه، لكن شيئًا لم يظهر، كانت هذه فرصته، وفكَّر فيها «أحمد» بسرعةٍ، هل يختفي؟

لكن قبل أن يتصرَّف أي تصرُّفٍ، أُضيئت القاعة مرةً أخرى، وجاءته رسالة سريعة: استغلَّ اللحظة في المرة القادمة ... فعرف أن الشياطين يقومون بالتحكم في التيار الكهربائي.

ضغط «دوك» زرًّا أمامه، ثم تحدَّث: ما الذي حدث؟!

جاءه الرد: لا ندري، إنها مسألةٌ من خارج المكان، نحاول أن نعرفها.

ولم يكد ينتهي الرد، حتى أظلمت القاعة مرةً أخرى، فصاح «دوك»: هذه مسألةٌ ليست عاديةً!

وسمع «أحمد» في الظلام، أصوات أقدام تَبتعِد وظل في مكانه.

مضت عدة دقائق، ثم أُضيئت القاعة، وفي الباب المؤدي إلى البحيرة كان يقف «فهد» مبتسمًا، وقال: هيا بسرعة إننا نريد أن نصطادهم في هدوء.

فأسرع «أحمد» بالخروج من الباب، واختفى هو و«فهد».

وكان صوت «تومي» يأتي من الخارج: حامد، حامد، لا تخف!

دخل «تومي» فلم يجد أحدًا، واقترب من الباب المؤدِّي إلى البحيرة، وبسرعةٍ كانت عدة أيدي تشدُّه، فيختفي في الظلام، ودخل «أحمد»، وجلس حيث كان.

اقترب صوت ينادي: تومي، تومي. ثم دخل «دوك»، فقال: ألم ترَ «تومي»؟!

أجابه «أحمد»: إنني لم أتحرَّك.

قال «دوك»: لا أدري ماذا حدث؟! هذه أولُ مرةٍ تحدث فيها هذه المسائل! واقترب من مقعده وجلس.

فكَّر «أحمد» بسرعةٍ: هل ينقضُّ عليه؟ إلَّا أن صوت رنين التليفون القريب قطع أفكاره.

رفع «دوك» السماعة، وظهرت الدهشة على وجهه، وقال: في الصالون أجهزة الكشف، تبعًا للموجات. ونظر إلى «أحمد» وظلَّ يستمع، ثم قال في النهاية: لا بأس، لا بأس، سوف أرى.

ووضع السماعة، ونظر إلى «أحمد» نظرة طويلة، ثم قال في هدوءٍ: يبدو أنك خدعتنا خدعةً بارعةً! أظن أنها لن تستمرَّ!

ومدَّ يده إلى الأزرار أمامه، لكن قبل أن يضغط أحدها، كان «أحمد» قد قفز مبتعدًا عن كرسيه، في نفس اللحظة كان الكرسي يطير في الهواء، ليصطدم «بدوك» الذي تلقَّاه بيد، ثم ضغط عدة أزرار بسرعةٍ.

عرف «أحمد» أن لحظة الاشتباك قد بدأت، فصفَّر صفير الشياطين، فجأة ... دخل «فهد» و«رشيد» و«خالد». لكن «دوك» كان قد اختفى، لقد غاص من خلال فتحة فتحَها أحدُ الأزرار.

قال «أحمد»: هناك مخبأ سرِّي، أين «تومي»؟!

دخلت «إلهام» وهي تسوق «تومي» أمامها، وقد رُبط بحبل فقال «أحمد» بسرعة: بدلًا من النهاية، ساعِدنا حتى نساعدك.

نظر «تومي» له لحظة، ثم قال: إنَّني أُصدِّقك.

ونظر إلى مجموعة الأزرار وقال: الثالث، الخامس، والسابع ... يغلقون أبواب المخبأ السري.

بسرعةٍ ضغط «فهد» الأزرار التي أشار إليها «تومي».

قال «أحمد»: لا بد من إرسال رسالةٍ إلى رقم «صفر» بالموقف.

فانهمك «رشيد» بإرسال الرسالة، في نفس الوقت اقترب «أحمد» من «تومي» وقال: كيف الوصول إليهم؟

نظر له «تومي» لحظةً، ثم قال: اضغط رقم ٤، إنه نفق من البحيرة، يُفتح فيملأ المخبأ ماء!

أحمد: أين تقع فتحات الأبواب؟

شرح «تومي» لـ «أحمد» مكانها، فقال «أحمد» لـ «إلهام»: عندما أُرسل إليكِ إشارةً، اضغطي الزر الرابع أولًا، ثم الثالث.

قفز خارجًا من الباب، فتبعه «فهد» و«رشيد» و«خالد»، وأسرعوا إلى حيث أشار «تومي»، كانوا ينزلون في مُنحدَر يقترب من شاطئ البحيرة. فجأة، ظهر الباب، كان يلمع تحت ضوء الكشاف الذي يحمله «أحمد».

أشار «أحمد» إلى «فهد» أن يُرسل إشارةً إلى «إلهام» لتُنفِّذ الأمر. أرسل «فهد» الإشارة إلى «إلهام»، ومرَّت دقيقةٌ، ثم فُتح الباب. فجأة، ظهر «دوك» مندفعًا لكن كان الشياطين يقفون، وقد أمسك كلٌّ منهم مسدَّسه في انتظار أي حركةٍ.

ظهرت الدهشة على وجه «دوك»، فقال «أحمد»: ليس الآن! وأشار له أن يقترب، وظهر بقية الأعضاء الواحد خلف الآخر.

وقال «أحمد»: «هيَّا إلى السطح».

ساقوهم صعودًا في المنحدر، حتى أصبحوا قريبين من سطح الأرض.

فجأة، دوَّت طلقات الرصاص كالمطر ... تقدَّم أفراد العصابة تحت دوي الطلقات، في نفس الوقت، اضطر الشياطين إلى الاحتماء بالجدران، وكان الموقف بالنسبة لهم صعبًا.

أخرج «خالد» قنبلة يدوية، ثم سحب مسمار الأمان، وألقاها في اتجاه الطلقات، دوى صوت القنبلة، لكن انفجارًا رهيبًا دوَّى فتردَّد صداه في الليل، وارتفعت ألسنة اللهب، حتى أصبحت الجزيرة كالنهار. تقدَّم الشياطين، وكانت القاعة السرية مُشتعلةً بكاملها.

قال «أحمد»: نتوزع إلى الفيلَّا، لكنه فجأةً قال: أين «إلهام»؟

أسرعوا جميعًا في اتجاه القاعة السرية المشتعلة، ولم يكن يظهر شيءٌ سوى ألسنة اللهب، ملأ الخوف نفوس الشياطين، لكن فجأة وضع «أحمد» يده على صدره، ثم قال: الحمد لله، رسالة من «إلهام»، إنها مختفيةٌ في مكانٍ ما.

أسرعوا إلى الفيلَّا، كانت النيران قد بدأت تخمد، ويعود الليل بظلامه من جديد ... زحف «أحمد» و«فهد» من جانب، وزحف «رشيد» و«خالد» من جانب آخر. لم يكن يُسمع صوت داخل الفيلَّا، فتقدَّموا في حذر، اقترب «أحمد» من الشرفة العريضة، وكانت مفتوحة.

قفز في هدوء إليها، ثم نظر إلى الداخل، لم يرَ أحدًا، فأشار إلى «فهد» ثم دخل الصالون ... فجأةً، انقضَّ عليه عملاقٌ ضخمٌ، في نفس اللحظة التي كان فيها «فهد» يكاد يدخل من الشرفة.

ضرب العملاق «أحمد» ضربةً قويةً جعلته يطير في الهواء، لكن «فهد» كان أسرع إليه، طار في الهواء، إلَّا أن العملاق كان مستعدًّا؛ فقد رفع أحد الكراسي وضرب به «فهد» المندفع إليه. تلقَّى «فهد» الكرسي بيد، ثم ضرب العملاق بقدمه ضربةً جعلته يترنَّح.

كان «أحمد» قد استعاد نفسه، فقفز في اتجاه العملاق، إلَّا أن الباب فُتح، ليظهر فيه مجموعة الرجال كلهم.

وقف «أحمد» و«فهد»، أمامهم، فقال «دوك»: ألقيا مسدَّسيكما.

لم يتحرك «أحمد» أو «فهد». التقت أعينهما، وكانا يتفاهمان بلغتهما. فجأة، كان أحمد قد اشتبك مع أقرب الرجال إليه، وكان «همفري»، في نفس الوقت كان «فهد» قد اشتبك مع «تيستا» فلم يستطع الآخرون فعل أي شيء، كان عليهم أن ينتظروا انتهاء المعركة، حتى لا يصيبوا زميليهم. كان «أحمد» و«فهد» قد اتفقا على ألَّا تنتهي المعركة بسرعةٍ، حتى يُعطيا فرصة لـ «رشيد» و«خالد» للوصول.

وكما توقَّعا، لم تمر دقائق، حتى كان «رشيد» يتحدث من خارج حجرة الصالون، وهو يقدِّم ماسورة مسدَّسه.

قال «رشيد» دون أن يظهر: ألقوا المسدَّسات.

ضغط «ماتي» زناد مسدسه، وهو يُصوِّبه في اتجاه مسدس «رشيد» الذي أطلق مسدسه في نفس اللحظة، فأصاب «ماتي» في يده، ولم يكن أمام الآخرين إلَّا أن يُلقوا مسدساتهم.

ظهر «رشيد» و«خالد»، ومن بعيد كانت تدوي في الليل أصوات سيارات الشرطة التي كانت تقترب.

ظهر «تومي» مُكبَّلًا في حباله، ثم ظهرت «إلهام» خلفه، وهي تمسك مسدسها، فظهرت الدهشة على وجه رجال العصابة.

وعندما دخل رجال الشرطة، كان الشياطين يَنسحبون بسرعة لأماكن أخرى، وهم يأخذون «تومي» ...

وفي أحد المخابئ السرية، وجدوا «جيمس فابر»، أو «شيك ماير» مُخدَّرًا وغائبًا عن الوعي. في نفس الوقت، وجدوا سيارة إسعافٍ تقف داخل المخبأ، الذي كان يَمتدُّ في نفق تحت الأرض، إلى الطريق الرئيسي خارج الجزيرة.

وقف الشياطين عند بوابة الجزيرة، وأرسل «أحمد» رسالةً سريعة إلى رقم «صفر» بانتهاء المعركة. فجاءهم الرد: أُهنِّئكم، أظنكم سوف تمضون الليلة في أوبرج الفيوم، إن المدير في انتظاركم.

انطلقت سيارة الشياطين في جوف الليل إلى أوبرج الفيوم، لقد كانوا يشعرون فعلًا بالحاجة إلى النوم ...

هنـــداوي